

## تفسير ابن كثير

نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقاهم وفعالهم وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص عليهم لعائين الله فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا ويورون بالرعونة كما قال تعالى : { من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسم غير مسمى وراعنا ليا بأسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسم وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بکفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا } وكذلك جاءت الأحاديث بالأخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلما إنما يقولون السام عليكم والسام هو الموت ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ [ وعليكم ] وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فيما والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قوله وفعلا فقال { يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم } وقال الإمام أحمد : أخبرنا أبو النصر أخبرنا عبد الرحمن بن ثابت أخبرنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرجشى عن ابن عمر رحمه الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له يجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعلت الذلة والصغار على من خالفة أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم ] وروى أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن أبي شيبة عن أبي النضير هاشم أخبرنا ابن القاسم به [ من تشبه بقوم فهو منهم ] ففيه دلالة على : النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبيه بالكافار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو أخينا نعيم بن حماد أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا مسمر عن معن وعنون أو أحدهما أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال اعهد إلي فقال : إذا سمعت الله يقول : { يا أيها الذين آمنوا } فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه وقال الأعمش عن خيثمة قال ما تقرؤون في القرآن { يا أيها الذين آمنوا } فإنه في التوراة يا أيها المساكين وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس { راعنا } أي أرعنا سمعك وقال الضحاك : عن ابن عباس { يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا } قال : كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : أرعنا سمعك وإنما راعنا كقولك عاطنا وقال ابن أبي حاتم وروي عن أبي العالية وأبي مالك والربيع بن أنس وعطيه العوفي وقتادة نحو ذلك وقال مجاهد : لا تقولوا راعنا } لا تقولوا خلافاً وفي رواية لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك وقال عطاء لا تقولوا { راعنا } كانت لغة تقولها الأنصار فنهى الله عنها وقال الحسن : { لا تقولوا راعنا }

} قال الراعن من القول السخري منه نهاهم الله أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم وما يدعوههم إليه من الإسلام وكذا روي عن ابن جرير أنه قال مثله وقال أبو صخر : { لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا } قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذن ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول أرعنا سمعك فأعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقال ذلك له وقال السدي : كان رجل من اليهود منبني قينقاع يدعى رفاعة بن زيد يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فإذا لقيه فكلمه قال : أرعني سمعك واسمع غير مسمع وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفهم بهذا فكان الناس منهم يقولون : اسمع غير مسمع غير صاغر وهي كالتى في سورة النساء فتقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحو من هذا قال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم راعنا لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [ لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فتاي ] وما أشبه ذلك قوله تعالى : { ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم } يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشا بهتهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشع التام الكامل الذي شرعه لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى : { و الله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم }